

مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ

أونجين

لعل هذه التحفة النادرة هي أبداع مانظم بوشكين الشاعر الروسي طول حياته ، وقد بدأها سنة ١٨٢٣ وأتمها سنة ١٨٣١ . وهي خيال طريف لقصيدة ييرون يو Beppo وإن تكن في صدقها وروعة فنها خيراً من يو ومن كل مانظم ييرون على الإطلاق . ولنخص اليوم تحفته أونجين التي تبد كل ما كتب الأدباء الروس فنقول :

« بوجين أونجين أحد أبناء الطبقة المتوسطة من سكان بطرسبرج ، حسن البزة ، منسق الهندام ، غني أبوه بتربيته تربية رفيعة ، وتوجيهه في الحياة وجهة خاصة ، إذ وصله بالاستاذ لاييه فتفقه في الفرنسية حتى تفقها وأصبح يتكلمها كواحد من أهلها . وكان مشغولاً في ملبسه بالطراز الانجليزي من نسق لندن . وأجاد بضع رقصات كان أحبها إليه (المازوركا) - وكان متأقفاً في عبارته ، يتخير اللفظة الرنانة ، ويصقل الحروف صقلا أرستقراطياً يزيد في فخامتها ، ويضاعف موسيقاها . وطالما كان ينثر في حديثه أبياتاً من الأنبيد (فرجيل) أو يستشهد بالحكمة اليونانية ، والمثل اللاتيني ، كأنما يريد أن يلفت السامع إلى تبحره في الأدب ، ورسوخ قدمه في التاريخ ، والمسامه بعلوم الاولين ... والآخرين ! وفي مشيته ، بل في طعامه ، بل في جلسته ، بل في الأيماء الصغيرة بطرفه ، كان يعمل عملاً ملحوظاً ، وكأنما أورثه عمله هذا رذيلة الاضطغان ، والتبرم بجميع المخلوقات ! ... وكان أبوه رجلاً متلافاً مبذراً ، لا يكتفي دخله المتوسط للمظهر المتفخ الذي كان يبدو به بين الناس ، وكان لذلك كثير الاستدانة قليل السداد ... يقيم في داره المراقص والمراقص ... وهو في إفلاس وضيق ليس وراءهما إفلاس وضيق . فلما مات خلف تركه ثقبلة من الديون الفادحة ، أتت على أخضره ويابسه

واشدت الضيق على أونجين فارتحل إلى عمه في الريف فوجد

قد انتقل إلى الآخرة هو الآخر . وثمة تعرف إلى شاب ألماني حدث ، واسع أفق الفكر ، متشعب المعرفة ، درس كانت وشيللر وهجل وأدباء الألمان ، حتى ما يكاد ينطق إلا بكلامهم ولا يفيض إلا عنهم . ويقدمه هذا الشاب (لنسكي) إلى عائلة مجاورة قوامها أرمل وابنتان ، صغراهما أولجا ، فتاة يافعة ممشوقة ساحرة اللغات ، رشيقة الحركات ، علقها لنسكي من كل قلبه ، وشغفه حبها حتى ما يفكر إلا فيها . والكبرى ، تاتيانا ، أقل جمالا من أولجا ، وإن تكن أرجح عقلا ، وأثبت جناناً ، وأكمل أنوثة . ترى أونجين فتحس بزائر جديد يحتل قلبها دون أن يستأذن ، وتشعر بانعطاف إليه يقرب أن يكون ولوعاً . وتكتب إليه بعد أن يكون التعارف قد اشتدت أواصره ، وتعترف له بما تحس نحوه في أعماقها ، في أسلوب صارخ ، وعبرة مجلوة - منتقاة ، وكلمات تكاد تتوهج وتلتهب . وليس في أشعار العالم شيء يشبه ما نظمه بوشكين في رسالة تاتيانا هذه ، بل ليس في فلسفة الحب صورة هي أروع ولا أصدق مما جاء في خطابها إلى أونجين . لقد كان قلبها يتكلم ويتضرم ، وكانت نفسها الملتاعة الوامقة تسيل دماً على شباة القلم . ولقد قرأنا درة شلى (أيبسكيديون) في الحب ، ولكننا لم نلح هذه الروح التي هبطت من وحى بوشكين في رسالة تاتيانا ، ولم نلح هذا القبس المقدس الذي أججه بوشكين العظيم في شعره العظيم ...

ويرد أونجين على هذه الرسالة العلوية بخطاب فائر بارد فيدعي فيه أنه لم يخاف للحب ، ولا يفكر في الزواج . وأنه غير جدير بها ، لأنه لم يشعر نحوها إلا بما يشعر به الأخ نحو أخته . وإنهم جميعاً لني مرقص ، فتدعو أولجا الصديق أونجين إلى رقصة اختارتها ، فيهنض ملياً طلبها ، وما تنتهي الموسيقى إلا وقد جن جنون لنسكي من الغيرة ، فيهنض إلى أونجين ويبتهره ، ويتحداه تحدياً يهيجه ، فتكون بينهما مبارزة هائلة يقتل فيها لنسكي - وتسود الدنيا في غنى أونجين ، فيرحل عن هذا البلد ويتنقل في أطراف البلاد ... وتنقل الأرمل بابنتها إلى العامة

وليس شك في أن (أندروماك) هي خير درامات راسين جميعاً. ولا نبالغ إذا قلنا إن أية درامة أخرى لم تجمع أشخاصاً ذوي عواطف شتى وأحاسيس متناقضة كما جمعت أندروماك. ولا نستطيع أن نعلل الأسباب التي إليها يرجع عدم نجاح هذه الدراماة العنيفة على المسرح المصري، إلا أنها قطعة كلاسيكية لم يعتدها الذوق المصري بعد. وهذا ما يؤسف له! وإذا كانت أندروماك قد جمعت كل هذه الشخصيات المتناقضة فبعكسها (فيدر) التي ازدحمت في قلب بطلتها متناقضات من عواطف غريبة ما برحت تتنقل وترتفع وتنخفض وتخبو وتشتعل حتى ختام المأساة. فقد أحببت فيدر ابن زوجها حباً شهنائياً اختلط بلحمها وخامر قلبها، ثم جعلت تلطف إليه، ثم أعلنت إليه أنها تحبه، وطفقت تراوده، ولكن الفتى أبي أن يخون أباه أو يغمس شرفه في الوحل، فتضرعت إليه، وانقلبت الضراعة فأصبحت مذلة وهواناً، فلما اشتط الفتى في تمنعه انقلبت المذلة فصارت حقداً وغیظاً، ثم اضطارم الغیظ فصار شراً تضمره فيدر ويمزق فؤادها... ثم اتهمت الفتى لدى أبيه أنه يراودها عن نفسها... فوقعت المأساة! فأنت ترى - إن كنت قد قرأت أندروماك أو شهدتا على المسرح - أن العواطف المتناقضة التي توزعت على أبطال أندروماك قد اكتظت كلها في نفس فيدر؛ وهذا عمل فني خالده لم يتح لكاتب مثل راسين.

كذلك قد قلد راسين الشاعر الكوميدي اليوناني أرسطوفان في ملهاته (Les Plaideurs) التي احتذى فيها الكوميدي اليونانية (الزناير ١) (The Wasp) والتي أضحكت لويس الرابع عشر حتى ذهب بوقاره المعروف عنه!

مع التنازلات

معهد التناسليات تأسس الدكتور ماجنوس لقيس فيلدر في القاهرة بعمارة روفية رقم ٤٦ شارع المداينغ تليفون ٥٢٥٧٨ يعالج جميع الاضطرابات والاورام والتشوهات التناسلية والعقم عند الرجال والنساء ويحيد الشباب والشجوخة المبكرة ويعالج بصفة خاصة سرعة التدفق طبياً لا يهتد الطرق العلمية والعلاوة من ١٠-١٥ رسة ٤-٦ .. مدونة: يمكن إعطاء نصائح بالمراسلة للمقيمين بعيداً عن القاهرة بعد أن يجيبوا على بصرى الأسئلة اليكبرلية المحترمة على ١٤١ سراً الذي يمكن الحصول عليها نظير ٥ قرش

حيث يفتن أحد أغنيائها بتاتيانا، فيخطبها إلى أمها، وسرعان ما يصبحان زوجين سعيدين

ويلتقي بها أونجين فجأة في إحدى حدائق بطرسبرج، فتثور في نفسه الذكريات القديمة، ويهيج به ميله الماضي، فيثبها حبه ولكن... ولكن... الفتاة تدمع قليلاً. ثم تصارح الفتى قائلة: «أونجين! لقد أحببتك من صميمي، ولكنك استكبرت ورفضت حبي... وهأنذا الآن زوجة... وعلى واجبات... ولزوجي شرف، وله كرامة... وهو يحبه لي خير منك بعثك عليّ... أونجين... وداعاً!»

هذا ملخص مقتضب لهذه القصة الرائعة التي يخطئ مؤرخو الآداب فيقرونونها بدون جوان ليرون

فن راسين (١٦٣٩ - ١٦٩٩)

يعتز الفرنسيون براسين اعتراز الانجليز بشاكسبير. ولكل من راسين وشاكسبير ميزة يفضل بها أخاه، فراسين يحكم العقل في العاطفة ويسخرها له وبعبكس شاكسبير الذي يجعل العاطفة مسيطرة على العقل سيطرة تامة ويترك لها القياد فوق المسرح فتنتقل بالنظارة في آفاق شعرية جميلة صاخبة لوجود لها في عالم الحقيقة. ولا يدري أحد أيهما يفضل أخاه ولا يستطيع أحد أن يحكم لأحدهما على الآخر

والذي يلفت النظر في فن راسين أنه مشيد على دعائم يونانية من فن سوفوكليس ويوريبيدز في حين تفيض فيه روح مسيحية عليها طابع قوى من جماعة الـ (Jansenists) (أو الطهرين الفرنسيين) ثم يزين ذلك كله رواء من أبيه لويس الرابع عشر ونغمته.

ولكن يوريبيدز أقوى أثراً في راسين من كل شيء آخر. ولا غرو، فقد كان راسين يسير على درب الأديب اليوناني الكبير ويمشي على مناهجه فلا يحيد قيد أنملة، اللهم إلا فيما يجعل دراماته ملائمة لعصر لويس العظيم. فني (أندروماك) و (إغنيا) و (فيدر) نلس روح يوريبيدز في الأديب الفرنسي ونكاد نعقد المقارنة بينهما، وإن كان راسين قد لون فن أستاذه بمثل الألوان التي كانت رافائيل يضيفها على صور لداته فيخلقها خلقاً آخر.